مجلة المعجمية - تونس

ع 18-19

2003

المعنى القاعدي في المشترك :
مبادئ تحديده وطرائق انتشاره
دراسة في نظريّة الطّراز

عبد الله صولة

جاءت نظريّة الطّراز الموسّعة حلاّ لمعضلة المشترك على وجه العموم (بصرف النظر في هذا المقام عن تقسيمه إلى مشترك لفظي Homonymie ومشترك دلالي Polysémie).

لقد عولج المشترك في النّظرية الموسّعة باعتباره مقولة فيها تكون معاني اللّفظ المختلفة بعضها بسبب من بعض في شكل تشابُه أسريّ Ressemblance de famille، على نحو يذكّرنا كثيرا بطريقة المقُولة في النّظرية الأصليّة حيث يكون أفراد المقولة مجمّعين حول أكثرهم تمثيلا لهم في انتمائهم إلى تلك المقولة. ويحصل هذا التّجميع على التّراتب والتّفاضل. ومقياس ذلك التّفاضل إنّما هو شدّةُ الشّبه بالطّراز أو ضعفُه.

لكنّ التشابه بين الطّريقتين في المقُولة في كلتا النّسختين من نظريّة الطّراز تشابه ظاهري فحسب. ومردّ ذلك إلى أنّ مفهوم التّشابه الأسري الفيتْغشطاينى قد فهم من قبل روش E. Rosch في النظريّة الموسّعة على عكس ما كانت فهمته في النظريّة الأصليّة فليس بينهما إذن إلاّ الاختلاف وذلك من وجوه عدّة :

1 - إنّ النّظريّة الموسّعة لا تقوم على مفهوم الطّراز أصلا كما هو الشأن بالنّسبة إلى النظريّة الأصليّة. وإنّما قوام انتظام المقولة الدّلاليّة فيها التأثيرات الطّرازيّة Prototype Effects التي هي عند لايكوف (1987 : 68-76 مثلا) السّمة الجامعة بين أفراد مقولة ما جمْعا مباشرا أو غيْر مباشر كأنْ يكون المعنى المشتقّ (ج) في علاقة بالمعنى القاعدي (أ) من خلال المعنى (ب) (انظر الوجْه 3 في ما يلي من هذا البحث). ويكون مصدر هذه التأثيرات الطّرازيّة على سبيل المثال ما يسمّيه لايكوف نفسه المنوال العرفاني المؤمثل (م.ع.م.) Idealized Cognitive Model (ICM) أو ما يسمّى عند لانقكير Langacker الخُطاطة Schema وهي عنده لانقكير (1987 : 150 و1991 : 104) "النّموذج المجرّد الذي يمثّل

الخصائص المشتركة لما يتفرّع عن تلك الخطاطة من بنى تجسّدها وتقوم شواهد عليها وتمثّل لها" . كما أنّ المنوال العرفاني المؤمثل الذي هو مصدر التأثيرات الطّرازيّة قد يكون قرين مفهوم النموذج الأعلى العرفاني Archétype Cognitif لدى ديكليه J.P. Desclés (2001).

2 - لئن قامت النّظريّة الأصليّة على الانتشار المقولي انطلاقا من الأفراد الطّرازيّين وصولا إلى الهامشيّين فإنّ النّظريّة الموسّعة تقوم على الانتشار المقولي Extension Catégorielle من المعنى القاعدي إلى المعاني المشتقّة.

3 - من أهمّ ما جاءت به النّظرية الموسّعة مخالفا للنظريّة الأصليّة ومقدّما إضافة متفرّدة في مجال دراسة المشترك هُو أنّه لا يُشترط في أفراد المقولة أنْ يشتركوا جميعا في سمة واحدة على الأقلّ وإنّما للمعاني التي يفيدها اللّفظ الواحد أن تشكّل حلقات قد يكون أوّلها في السّلسلة (المعنى أ مثلا) غيْر ذي علاقة مع آخرها فيها (المعنى هـ مثلا) وذلك على شكل "ألعاب" فيتقنشتاين Wtttgenstein وحسب مفهوم التّشابه الأسري عنده أيضا (ويبدو أنّ طريقة روش Rosch في فهم التشابه الأسري عند فيتقنشتاين قد تغيّرت في مرحلة النّظريّة الموسّعة عمّا كانت عليه في النظريّة الأصليّة بما أحدث انقلابا في النظريّة الطّرازيّة بالكليّة). فمن الطّراز من حيث هو جوهر المقولة وفق الشكل التالي :

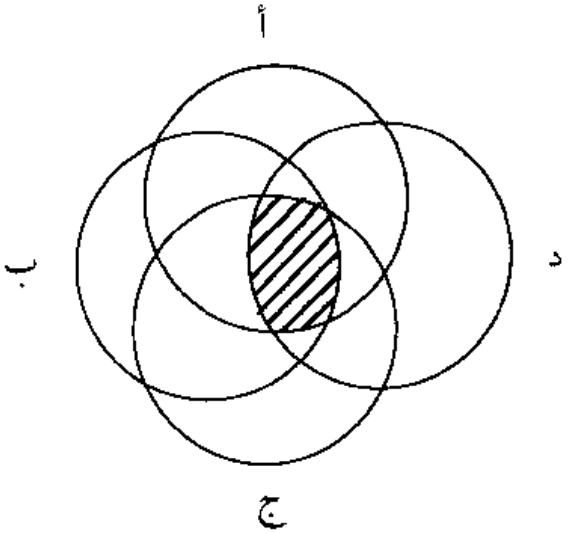

(حيث تمثّل (أ) على سبيل المثال صفة [القدرة على الطّيران] بالنّسبة إلى مقولة الطّير و(ب) [له ريش] و(ج) [له أجنحة] و(د) [له شكل S في اللاّتينية]. ويمثّل الخيّر المخطّط الطّراز الذي تشغله عناصر الطّير الطّرازيّة مثل الدّوري Le moineau والعقاب؛ ولا بدّ من امتلاك إحدى الصّفات أو بعضها حتى يقال عن عنصر مّا إنّه ينتمي إلى مقولة الطّير). انتقلنا إلى

التأثيرات الطّرازيّة التي تجعل شرط الاشتراك بين جميع الأفراد (أ+ب+ج+د) في سمة واحدة على الأقلّ شرطا غير ضروريّ. وذلك على النحو التّالي (كليبر 1990 : 160) :

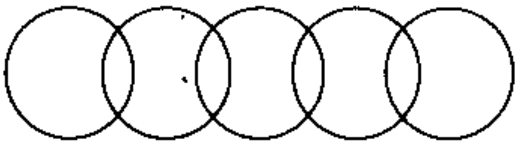

أ ب ج د هـ

لنأخذ مثالا على ذلك "القمر" في لغة الدّربال الأستراليّة فهو في انتمائه إلى مقولة Bayi لا شيء يربطه ظاهريا بأدوات الصّيد البحري المنتمية إلى نفس المقولة. وإنّما هو معها في علاقة مقوليّة من خلال "الرّجال" المنتمية إلى نفس المقولة. ففي الأسطورة حسب لايكوف نقلا عن ديكسون Dixon أنّ القمر والشمس يشكّلان زوجا ذكره القمر. ولهذا وضعوه في مقولة Bayi التي صورتها القاعديّة Basic Schema الرّجال والحيوان (لايكوف 1987 : 93-94) والشمس في مقولة Balan التي صورتها القاعديّة النّساء والماء والنّار (نفسه).

4 - على أنّ أهمّ ما يميّز مفهوم الطّراز بما هو تأثيرات طرازيّة في النّظريّة الموسّعة من مفهوم الطّراز بما هو أفضل ممثّل للمقولة في النّظريّة الأصليّة، أنّنا محتاجون في تعيين الطّراز في الأصليّة إلى أنْ نحتكم إلى آراء المستجوبين المتكلّمين وإلى إجماعهم حول عنصر من المقولة يكون طرازها (بواتو Poitou 2000 : 17-22). في حين أنّنا في النّظريّة الموسّعة لا نكون في حاجة إلى أحكام المتكلمين لتعيين المعنى القاعدي فهناك قواعدُ عرفانيّة عامّة تعيّن هذا المعنى الذي هو مصدر التأثيرات الطّرازيّة للمعاني المشتركة في اللّفظ. لكنّ هذه القواعد غيرُ متبلْورة بما فيه الكفاية، وسيعمل هذا البحث على محاولة بلْورتها. صحيح أنّ نظريّة الطّراز في نسختها الموسّعة قد عملت على تنظيم المشترك Polysémie بعد أنْ كانت تسوده الفوضى كما يقول لايكوف (1987 : 387). فعنده أنّ المشترك حالةٌ خاصّة في المقولة القائمة على مفهوم الطّراز حيث تبدو معاني اللّفظ المختلفة أفرادا في مقولة (نفسه). لكن ينبغي أن نضيف أنّ هذه المقولة ليس لها طراز يتضمّنه ... لكنّ لها معنى قاعدي تربطه بأفراد المقولة هؤلاء تأثيرات طرازيّة فهي معانٍ مشتقّة منه وعد... .

لكن في مقابل تفاؤل لايكوف وتضخيمه للمشروع الطّرازي في دراسة المشترك

نجدُ كلبير (1999 : 64-65) يهوّن كثيرا من قيمة هذا المشروع العلميّة. فعنده أنّ هذا المنوال في دراسة المشترك لا يقول لنا أكثر من كون المعاني المتعدّدة لم تجمّع في لفظ واحد صدفةً، فلابدّ أن يكون كلّ معنى منْ هذه المعاني في علاقة مع معنى آخر. وهو ما يترتّب عليه كون هذا المنوال له سلطة وصفيّة مفرطة في القوّة في مقابل سلطة تفسيريّة مفرطة في الضّعف.

أمّا الإفراط في قوّة القدرة الوصفيّة فيتمثّل لديه في ما يظهر من علاقات اشتراك وترادف في المدوّنة التي يدرس. وأمّا الإفراط في ضعف السّلطة التّفسيريّة التي للمنوال الطّرازي فيتمثّل في ضعف طاقته النّظريّة في تبرير العلاقة الجامعة بين المعاني المشتركة. فطاقته النّظرية الوحيدة منحصرة في كون المعنى المعجمي لا يمكن أن يكون معاني قائمة على التّشتّت الاعتباطي لا رابط يربط بينها إذْ لابدّ من تبرير Motivation.

جوهر عملنا إذن هو أن نحاول تقوية السّلطة التفسيريّة في دراسة المشترك دراسة طرازيّة ويكون ذلك بدعم الطّاقة النظريّة في تبرير العلاقة الجامعة بين المعاني. ومدار ذلك على إبراز المبادئ العرفانيّة التي من شأنها أن تميّز في مقولة مشتركيّة قائمة على التشابه الأسري بَيْنَ مَا هو معنى قاعدي فيها وما هو معان مشتقة منه. فما هي هذه المبادئ وما هي طرائق الانتشار من المعنى القاعدي إلى المعاني المشتقة في شكل تأثيرات طرازيّة ؟

يحصر بعضهم (كلبير 1999 : 155) مبادئ البروز العرفاني الذي تتمتّع به بعض الكيانات في ثلاثة هي :

1) أنّ الانسان (وبدرجة أقلّ الحيوان) يكون أشدّ بروزا ممّا هو ليس بكائن حيّ.

2) أنّ الكلّ هو في العادة أشدّ بروزا من الأجزاء.

3) أنّ الكيانات الفيزيائية المنفصلة تكون عادةً أشدّ بروزا من الكيانات المجرّدة.

هذه المبادئ الثلاثة يمكن أن تفسّر لنا تبعا لذلك كيف أنّ المعنى المتعلّق بالإنسان يكون أبرز من المعاني المتعلّقة بغيره إذا جمّعت جميعا في مقولة واحدة من المعاني في شكل تشابه أسري ممّا يدلّ عليه اللّفظ الواحدُ دلالة شتركة.

كما أنّه من شأنها أن تفسّر لنا كيف أنّ المعنى المحيل على الكلّ يكون أبرز من المعنى المحيل على الجزء وأنّ المعنى المُحيل على كائن فيزيائي يكون أشدّ بروزا من المعاني المحيلة على كائنات مجرّدة إذا جمعت على صعيد اللّفظ الواحد في مقولة دلاليّة واحدة.

على أنّه بالامكان إضافة مبدإ عرفانيّ آخر إلى هذه المبادئ الثلاثة وهو المنوال العرفاني المؤمثل في صورتين من صوره كأنّهما آيلتان إلى صورة واحدة وهما :

+. أ - المنوال العرفاني المؤمثل الشّبيهُ بالشروط الضروريّة والكافية :

إنّ المنوال العرفاني المؤمثل أنواع (لايكوف 1987 : 68) ونقصد هنا إلى ذلك الذي تتمّ هيكلته بواسطة البنى القضويّة Propositional structure وتتوسّل به شأن غيره من المناويل العرفانيّة المؤمثلة لتنظيم معارفنا. وهذا المنوال العرفاني هو شبيه بمنوال الشروط الضروريّة والكافية الأرسطي. وهيكلته إنّما تتمّ وفق قوانين الاجتماع وأحوال العمران ومعطيات الثقافة شأن البنى القضويّة التي تهيكل معنى كلمة عازب فهو "الذكر، البالغ، غير المتزوّج" فللزواج والبلوغ والذكورة قوانينها وشروطها المحدّدة لها (لايكوف 1987 : 70).

+. ب - المنوال العـرفـاني المؤمثل هو نمـوذج أعلى عرفاني على طريقة ديكليه Desclés :

إنّ هذا المنوال يصلح لتحديد المعنى القاعدي في حالة المشترك فَهُوَ في ما نزعم منوال شبيه بالمنوال العرفاني المؤمثل عند لايكوف وقد ذكرناه أعلاه، لكنّه منوال يعتمد تخصيصـا الإدراك والعمـل La perception et l'action ويسمّيه صاحبه وهو ديكليه (ديكليه : 2001) النمـوذج الأعلـى العرفانـي Archétype cognitif أو الدّلالة الثابتة L'invariant sémantique.

تلك إذن أربعة كاملة. مبادئ يُسهم كلّ واحد منها، وإن كان بعضها بسبب من بعض في أحيان كثيرة، في ضبط المعنى القاعدي وفي جعل المعاني المشتركيّة وهي مشتقة منه تردّ إليه وتجمّع حوله في شكل تشابه أسري قوامه التأثيرات الطّرازيّة فكيف يكون ذلك؟

1 - أثر البروز العائد إلى الإنسان (أو الحيوان) في تشكيل المعنى القاعدي :

قد لا يكون من باب الصّدفة أنّ من أكثر الكلمات تشكيلا لشبكات من المشترك حولها في الاستعمال الكلمات التي تسمّي أجزاء الإنسان :

ا) رأسه فنقول :

- رأس الجبل

- رأس العصابة

- رأس القائمة
- رأس الجماعة
- رأس المشكلة
- رأس الفتنة الخ.

ب) وصدره فنقول :
- صدر المجلس
- صدر الجماعة
- صدر الكتاب
- لنا الصدر دون العالمين...

ج) وبطنه فنقول :
- بطن الوادي
- بطن الطّائرة
- بطن القبيلة
- البُطين
- قلّبت الأمر بطنا لظهر...

د) وقلبه فنقول :
- قلب الغابة
- قلب الرّحى
- قلب السيّارة
- قلب اللّيل
- قلب المعركة
- قلب المشكلة (...)

ه) ويدُه فنقول :
- يد الحُصان
- يد اللّه
- يد الدّهر
- يد بيضاء

- يدُ قدرة
- لك فيه يد الخ.

ب) وفمُه فنقول :

- فم النّهر
- فم الكأس
- فم القدْر
- حتّى أتته يد فرّاسة وفم.. الخ.
- "فم الدّار" (عاميّة).

الثّابت في كلّ هذه الاستعمالات شيء واحد هو الإنسان فهو المعنى القاعدي الذي تسري تأثيراته الطّرازية في جميع تلك الاستعمالات مشكّلا معها في كلّ مرّة تشابُهًا أسريًا.

يمكن أن نضيف إلى هذه القائمة أعضاء أخرى من الإنسان مثل الوجه، إذ يقال وجه جميل، وجه القرية، وجه تلفزي، وجه اللّه. ومثل الأسنان إذ يقال أسنان المشط، أسنان المنشار ألخ. ومثل كلمة عيْن بطبيعة الحال وقد وجدنا السّيوطي في القديم (المزهرج 1 : 372-375) يفترضُ الانطلاق من معنى عين التّابعة للإنسان فهي المعنى القاعدي لكثير من معانيها.

ما يدعـم أهميّـة معنى انسـان عرفانيا في تنظيم سائـر المعاني أنّ الصّورة الخطاطيّة Image schema التي لمفهوم إنسان تخوله أن يكون له امتدادٌ في استعمالات كثيرة مشتقّة منه. إنّ الصّورة الخطاطيّة هي حسب لايكوف (1987 : 283) الشّيء مجرّدا في شكل بنية يقول : "عندما تدرك شيئا على أنّ له بنية مجرّدة فإنّك تدرك هذه البنية في شكل صورة خطاطيّة".

انّ صورة الانسان الخطاطيّة هي عند لايكوف (نفسه : 280) "مهيكلة باعتبارها ذات نظام فوق / تحت وهي وعاء له داخل وخارج وهي كلّ له أجزاء".

هذه الصّورة الخطاطيّة وهي عنْد لايكوف أوائل دلاليّة Primitives sémantiques لمفهوم إنسان وهو نفسه من الأوائل. هي التي حسب رأينا تجعل المعنى التّابع له والمحيل عليه هو المعنى القاعدي.

فكونُ الانسان له فوق وتحت هو الذي يقرّبُ منه الجبل فيقال رأس الجبل مثلا ويقرّب منه الفتنة باعتبار أنّ لها قوّادا وقاعدة تتبعهم فيقال "رأس الفتنة". وكون الانسان له

داخل وخارج هو الذي يقرّب منه السيّارة فيقال "قلبُ السيّارة" أمّا عن أجزائه فحدّث ولا حرج بحيث يمكن لنا أن نقول إنّ الصّورة الخطاطية للإنسان تسهم بشكل كبير في جعله معنى قاعديًا للمذكور من المشتقّات الدّلاليّة.

على أنّ أهميّة الإنسان في تشكيل المعنى القاعدي في المشترك تظهر أيضا في غيْر الألفاظ المحيلة على أجزاء بدنه. فقد تظهر في الألفاظ المحيلة عليه في كلّيته. من ذلك لفظ "خال" وهو من المشترك كما جاء في لسان العرب وعند السّيوطي (المزهر 1 : 376).

إنّ طريقة علم الدّلالة في إطار النحو التّوليدي (طريقة كاتزوفودور خاصّة) تدرس مثل هذا المشترك (قلميش 1975 : 20-21) على النّحو التّالي وفق ما يُسَمّيانه بالمحدّدات: النّحوية من ناحية والدّلاليّة من ناحية أخرى والفصل Distinguisher من ناحية ثالثة :

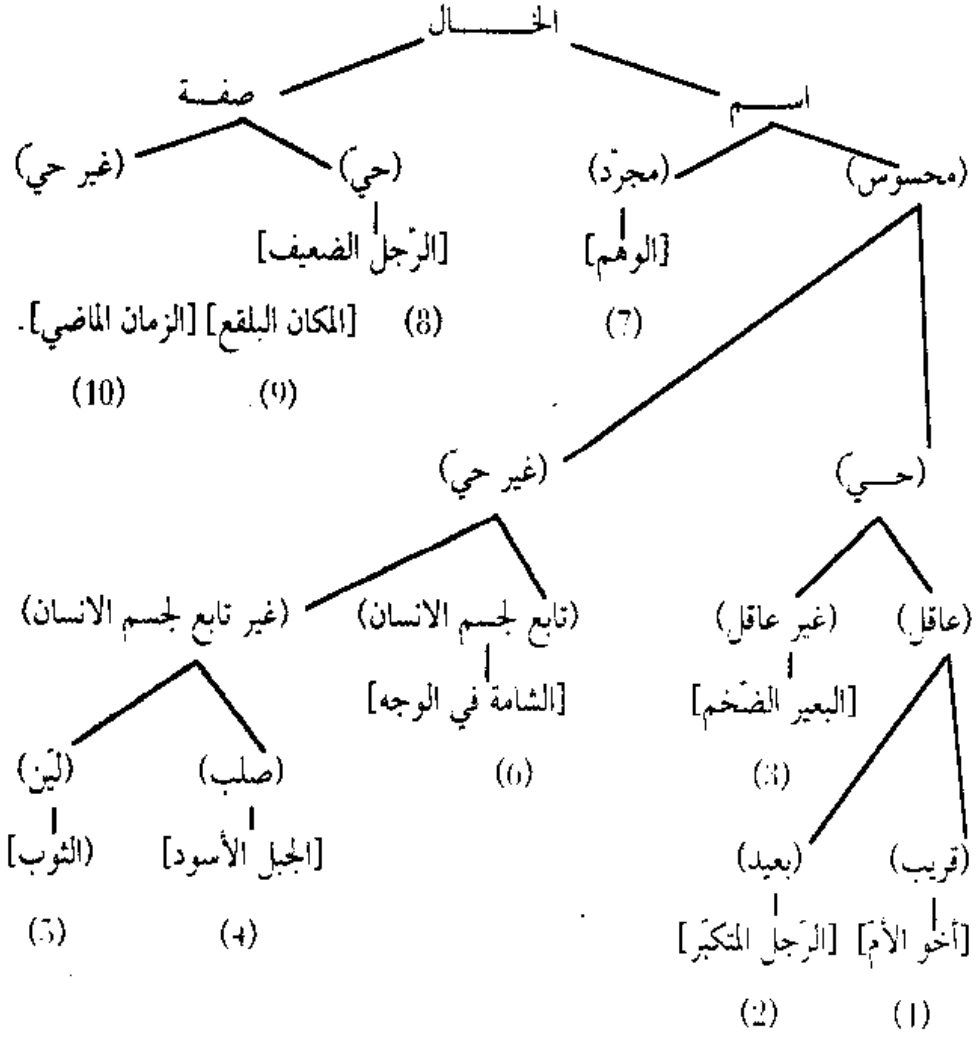

على العكس من هذه الطريقة المنطقيّة Logique في تحليل المشترك عند كاتز وفودور تأتي طريقة لايكوف تماثليّة Analogique رابطة بيْن مختلف المعاني التي يفيدها اللّفظ على أساس الانطلاق من المعنى العائد إلى الإنسان أساسا، كاشفة عن وسائل انتشار هذا المعنى القاعدي إلى المعاني الأخرى المشتقّة منه. ومن هذه الوسائل كما تظهر هنا المشابهة التي قوامها التشبيه والاستعارة والمجاورة التي قوامها المجاز المرسل والتّداعي Association، وقد تعتمد الوسيلتان فيُفضي ذلك إلى التّناوب في جعل حلقة من المعنى بسبب من أخرى وإن لم تكن منها بسبيل ولا هي في الأصل من سنخها. وذلك من خلال حلقة معنويّة ثالثة لها خصائص هذه وخصائص تلك على نحو يذكّرنا كثيرا بمفهوم التشابه الأسري كما فهمته روش عن فيتنقشتاين في نظريّة الطّراز الموسّعة. ويذكّرنا كذلك بمفهوم الألعاب Les jeux عند فيتنقشتاين.

إنّ ما نعتمده هنا من مبدإ في تعيين المعنى القاعدي لجملة من المعاني المشتركة يفيدها اللّفظ الواحد وهو مبدأ "الانسان أوّلا ثمّ الحيوان"، يتيح لنا - وإن كان لابدّ من الاحتراز والتحفّظ - أن نعتبر المعنى رقم (2) وهو معنى الرّجل المتكبّر يكون كبره بغيْر الحقّ. إذ به فخفخة وهو في الحقيقة وهم وضعْف هو المعنى القاعدي الذي تسري تأثيراته الطّرازية إلى سائر معاني مقولة "الخال" المشتقّة منه. وذلك وفْق العلاقات الانتشاريّة التّالية :

1 - علاقة المشابهة : 2 ← 3 ← 4 ← 6

إنّ بيْن المعنى القاعدي (2) وهو الرّجل المتكبّر والمعنى (6) وهو الشّامة في الوجه لا توجد أيّة علاقة بينهما وإنّما العلاقة بينهما قائمة عبْر المعنيين 3 و4 (وهما البعير الضّخم والجبل).

2 - علاقة المجاورة (السّببيّة والمسببيّة أساسا) : 2 ← 7 ← 8

على أنّ المعنى (8) أي الرّجل الضّعيف تكون تأثيراته الطّرازيّة منتشرة إلى كلّ من (5) وهو الثّوب اللّيّن و(9) وهو المكان البلقع الذي لاشيء فيه يعتمد عليه. و(10) وهو الزّمان الماضي الذي لا شيء منه يعتدّ به. وعلى هذا النّحو من التّداعي والتناوب يفضي بنا الأمر في طريقة انتشار المعنى القاعدي في المشترك إلى شيء أثير جدّا لدى العرفانيّين التّرابطيّين Connexionnistes هو مبدأ التناغم Principe de l'harmonie.

2 - أثر البروز العائد إلى الكلّ في تشكيل المعنى القاعدي : مثالان :

المثال الأوّل :

- ركب دابّته (والمقصود حماره).

- لا أحبّ الكلاب. (في جواب عن سؤال من قبيل : هل لك في هذا البلدُغ؟).

- لا أحبّ لحْم الطّير (جوابا عن سؤال هل تحبّ لحم الدّجاج ؟)

في جميع هذه الأمثلة تشكّل كلمات دابّة، كلاب، طير المستعملة ألفاظا منتمية إلى المستوى القاعدي Niveau de base فهي تشكّل كلاّ بالنّسبة إلى الألفاظ التي كان ينبغي أن تستعمل (الحمار، البلدُغ، الدّجاج). وهي تبعا لذلك أطرزة Prototypes. ومن خصائص الطّراز أنّه يكون بارزا وبروزه هذا يكون أفقيّا أيْ بالنّسبة إلى أفراد مقولته نفسها وهذا لا يعنينا هنا. كما يكون هذا البروز عموديّا أي بالنّسبة إلى المستوى الأدنى Infraordonné فعناصر هذا المستوى أجزاء للْكلّ الذي هو في المستوى القاعدي.

على أنّ كلمة طير تبدو على صعيد دلالي محض من المشترك. يقول ولْتردي مولدر Walter De Mulder (2000 : 20) : "ان كلمة طيْر من المشترك. ومختلف معانيها إنّما هي توليفات متنوّعة من السّمات [الدّلاليّة] التي تكوّن معنى "الطير» المركزي. وهذه السّمات هي :

1 - [القدرة على الطّيران].

2 - [له ريش].

3 - [له شكل S].

+ - [له أجنحة].

5 - [غيْر داجن].

6 - [بيوض].

7 - [له منقار]".

وفْق الكلام السّابق نحصل انطلاقا من معنى "طير" وهو مجمل السّمات السّبع المذكورة على المعاني التّالية :

معنى فرّوج : السّمات = 2+3++7

معنى الدّوريّ : السّمات = 1 ——— 7

معنى النّعامة : السّمات = 2 ——— 7

بحيث يبدو معنى طير هو المعنى القاعدي الذي تشتقّ منه سائر المعاني الجزئيّة في علاقة كلّ / جزء.

على أنّه ينبغي التنبيه إلى أنّ كلمة "طير" لا يعتبرها كليبر مثلا (1999 : 61-62) مقولة دلاليّة أي مجمل معانٍ كما فعل مولدر أعلاه بل يعتبرها مقولة مرجعيّة Catégorie référentielle. وإنّا إلى مولدر لأميل.

المثال الثاني :

جملة : الجاحظ مفقود في منّوبة

حيث أثر استخدام الكلّ عوض الجزء في موضعين من الجملة :

1 - الكلّ :

الجاحظ

الاجزاء :

- كتب الجاحظ
- اسمه في الفهارس
- فكره النّقدي
- أسلوبه في الكتابة
- موسوعيّته

الخ.

يَدْعَمُ هذا جمل تبدو أكثر عفويّة في الاستخدام اليومي من غيرها :

1 - لا أثر للجاحظ في منّوبة (عوض لكتب الجاحظ).

2 - من ساعتين وأنا واقف أبحث عن الجاحظ (عوض اسم الجاحظ)، حيث تبدو كلمة "الجاحظ" باعتبار المنطقة المفعّلة Active zone في كلتا الجملتين من المشترك. وإنّما استخدم الكلّ عوض الجزء لكونه أشدّ بروزًا Plus saillant.

2 - الكلّ :

منّوبة

- الأجزاء :
- كلّيّة الآداب
- مكتبة العربيّة
- فهرس الكتب العام
- الحاسوب المركزي
- الحاسوب الخاصّ بمكتبة العربيّة
- برامج الأستاذيّة الخ

يدعم هذا جمل من قبيل :

- لم أجد كتاب الإيضاح في 1 أفريل سأذهب إلى منوبة (مكتبة منوبة).
- كلّ ما هو قديم تجده في منوبة (برامج منوبة مثلا).

إنّ علاقة الجاحظ بأجزائه المذكورة هي علاقة كلّ بجُزء أو لفظ علويّ مضمّن Hyperonyme بلفظ سفلي مضمَّن Hyponymes والكلّ أو اللفظ العلويّ حاضر في الجزء أو اللّفظ السّفلي بواسطة المجاز المرسل (علاقة كلّ/جزء) في شكل تأثيرات طرازيّة.

3 - أثر البروز العائد إلى الأشياء الفيزيائيّة في تشكيل المعنى القاعدي :

يمكن أن نعتبر الاستعمالات المتعلّقة بأشياء مجرّدة معاني مشتقّة من معنى قاعدي هو المعنى المتعلّق بالأشياء الماديّة ممّا يجعل الكلمة موضوع الاستعمال من المشترك ومن الأمثلة على ذلك كلمة يَد :

وحين تتعدّد إمكانات استخدام الأشياء الفيزيائيّة داخل جدول استعماليّ ما فإنّه يطبّق مبدأ الإنسان أوّلا بمعنى أنّه إذا كانت لنا طائفة من المعاني تحيل كلّها على ما هو فيزيائي مثل العين النّاظرة وعيْن الماء وعيْن القوم أي سيّدهم مثلا فإنّنا نختار المعنى الأوّل على أنّه المعنى القاعدي.

يمكن أن نلحق بظاهرة البروز الفيزيائي ضربا آخر من البروز وإن كان نقيضا له هو البروز الثقافي والاجتماعي. فمثل هذا البروز هو الذي يساعد اللّفظ على أنْ يصبح معناه معنى قاعديّا بالنّسبة إلى معان أخرى غيْر قاعديّة في مقولته. يمكن أن نفحص عن الأمر من زاويتين متعارضتين :

أ - لفظ سفلي يصبح بفعل الثقافة والاجتماع علويّا ويتحوّل من معنم Sémème إلى معنى جامع Archisémème (راستيه Rastier 1991 : 197 و1993 : 271) مثال :

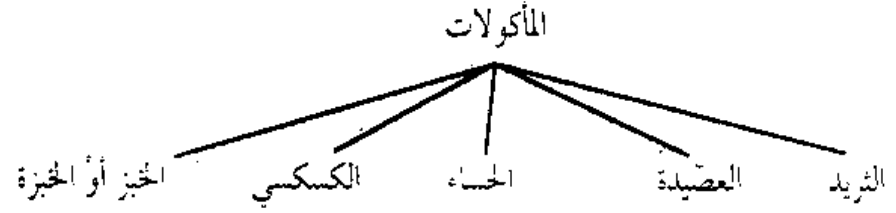

تتحوّل الخبزة (في تونس) والعيشُ (في مصر) إلى لفظ علوي يشمل سائر المأكولات. وقد يعود ذلك إلى شدّة بروزه اجتماعيًا ويصبح بصفته تلك مشتركا يخترق معناه القاعدي وهو "ما يتقوّت به" جميع ما صدقاته من أنواع القوت في تشابه أسري قوامه التأثيرات الطّرازيّة.

إنّ الخبزة معنما وهو ما "يعدّ من العجين مدوّرا أو مستطيلا ويوضع على النّار لينضج مثلا" ليس لها أيّ حضور طرازي في سائر المأكولات. لكنّها باعتبارها معنما جامعا، وهو ما يتقوّت به، تتحوّل إلى معنى قاعدي له تأثيرات طرازيّة في جميع ما يؤكل.

ب - وهو عكْس السّابق وذلك بأن يكون لدينا لفظ علويّ ثريّ دلاليّا (ما صدقيا على الأقلّ) يصبح سفليًا ويرث البروز عن وضعه العلويّ الأوّل. مثال :

الولد [كلّ ما وُلد لك]

في الحديث بات الولد يعني الذّكر فحسب (إلى ولدي : أحمد أمين).

فيقال لي بنتان وولد وتفقد الكلمة تبعا لذلك بعدها المشتركي.

4 - أ - المعنى القاعدي منوال عرفاني مؤمثل ويكون في شكل سمات ضروريّة وكافية :

ضبط كايتز وفودور Katz et Fodor معنى عازب Bachelor (قلميش 1975 : 20) بالسّمات التالية : "ذكر، بالغ، غير متزوّج". وهي سمات ضروريّة وكافية لتحديد معنى "عازب".

يعتبر لايكوف (1987) أنّ هذه السّمات الثلاث هي المنوال العرفاني المؤمثل لمعنى عازب لكنّها على صعيد المقولة الطّرازيّة لا تنطبق إلاّ على العازب الطّرازي أي ذلك الذي تتوفّر فيه الشروط المدنيّة والاجتماعيّة والعمريّة للزواج والبلوغ والذّكورة فالأرمل وطرزان والقسّ والزّوجان الذكران اللّوطيّان هم أيضا عزّاب لكنّهم غير طرازيين. بحيث يشملهم المنوال العرفاني المؤمثل لعازب ولا يشملهم فهم في الدّائرة المنحرفة لمقولة عازب :

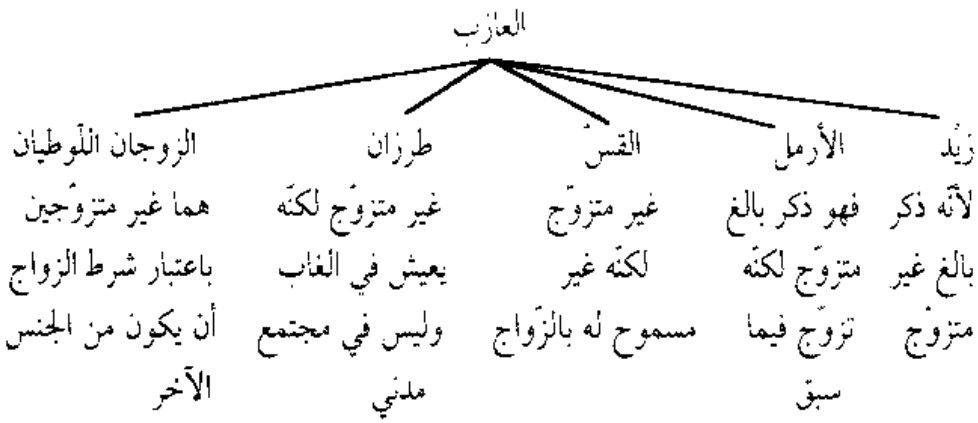

جميع هذه المسمّيات عائدة إلى معنى قاعدي واحد هو المتوال العرفاني المؤمثل (ش ض ك أيضا) الذي لكلمة عازب فهو يربط بينها جميعا في شكل تأثيرات طرازيّة تقوى مرّة وتضعف أخرى.

+ - ب - المعنى القاعدي منوال عرفاني مؤمثل في شكل مشهد حسّي قوامه الإدراك والعمل :

مثال حرف الجرّ "في" : أحصى ابن هشام (المغنى : ج 1 : 168-170) لـ : "في" عشرة معان تختلف باختلاف سياقات استعمالها وهذه المعاني هي : الظرفيّة والمصاحبة والتعليل والاستعلاء ومرادفة الباء ومرادفة إلى ومرادفة من والمقايسة والتّعويض والتّوكيد.

هذه المعاني اختزلها ابن قيّم الجوزيّة (الفوائد : 67) في اثنين فحسبُ يقول : "في. وله حقيقة تتحقّق في قسمين : أحدهما احتواء جُرم على جرم كقوله تعالى (وهم في الغرفات آمنون). والثاني احتواء جرم على معْنى كقوله تعالى (في قلوبهم مرض). وما عدا ذلك من استعمال لها فهو تجوّز لا حقيقة".

واختزلت عند معظم النّحاة (مَثَلاً ابن يعيش : شرح المفصّل ج 8 : 2) في معنى واحد هو الظّرفيّة والوعاء وهو اجتهاد محمود لكنّ النّحاة ممثّلين في ابن يعيش سرعان ما يحملهم اختلاف الاستعمالات إلى الحديث عن استعمال أصليّ هو الوارد على الحقيقة واستعمال متفرّع عنْه هو الاستعمال الوارد على التشبيه والمجاز قال ابن يعيش : "يقال في فلان عيب وفي يدي دار جعلت الرّجل مكانا للعيب يحتويه مجازا أو تشبيها ألا ترى أنّ الرّجل ليس مكانا للعيب في الحقيقة ولا اليد مكانا للدّار" (نفسه) في حين أنّه على صعيد لسانيّ محض "ينبغي أن نعتبر جميع الاستعمالات متساوية" (بيشو Picher : 2001 : 8) ومردّها جميعا إلى صورة خطاطيّة Une forme schématique واحدة (نفسه).

الحاصل من هذا ونحن نعتمد ديكلية أساسا أنّ المعنى القاعدي أو الدّلالة الثابتة في اصطلاحه L'invariant sémantique تقع في مستوى يتعالى على الحقيقة والمجاز. إنّ الحقيقة والمجاز يقعان في اللّغة. أمّا الدّلالة الثابتة أو النموذج العرفاني الأعلى أو المنوال العرفاني المؤمثل أو المشهد أو الخطاطة schema فهي فوق اللّغة.

بناء على هذا نقول انّ المعنى القاعدي لـ "في" هو "حلول كيان في فضاء" ويستخدم "كيان" هنا باعتباره حسّيا أو مجرّدا وكذلك الفضاء فهو من المحاور الثمانية التي تنتظم الأوائل الخمسة والثلاثين في تعداد أنّا فيار زبيكه Anna Wierzbicka (1993 : 17)(*) فهما قد يُجسّدان لغويّا في ألفاظ محيلة على اسم عين أو اسم معنى. إنّ المنوال العرفاني المؤمثل لـ "في" وهو "حلول كيان في فضاء" يكون إذن هو المعنى القاعدي الذي اشتقّت منه جميع امثلة ابن هشام وابن القيم وأمثلة ابن يعيش وهي :

الماء في الكأس.
زيد في أرضه
في يدي دار
أفي اللّه شك ؟
"لأصلّبنكم في جذوع النّخل"

نتيجة هذا فإنّ بعض الثنائيّات الضّديّة في تاريخ علوم اللّغة والبلاغة تختفي مثل ثنائية حقيقة/ مجاز وثنائيّة تركيب/ دلالة حتّى لكأنّ المكوّن التركيبي في مثل هذه الحالة لم تعد له قيمة تذكر.

إنّ "في" هي إذن من المشترك فهي تفيد معاني مختلفة ولكنّ هذه المعاني في علاقة تشابه أسري.

عبد اللّه صولة
كلية الآداب بمنوبة – تونس

(*) وان كان ديكلية Desclés صاحب مصطلح Archétype يعتبره مختلفا تماما عن الأوائل Les primitives فهو أعلى منها مرتبة في التجريد حسب رأيه لكنّه من ناحية أخرى يعتبر النموذج العرفاني الأعلى خاصا بكلّ لغة في حين أن الأوائل الدّلالية هي عنده كما عند غيره من الكليات المتعالية على اللّغات. وفي هذا تناقض فيما نرى. صرّح ديكلية بهذا الرّأي في مناقشاته مع طلبة ماجستير اللّسانيات (كلية منوبة 2003) بمناسبة ندوات أقامها هناك.

المصادر والمراجع

1 - العربيّة

جلال الدّين السّيوطي : المزهر في علوم اللّغة وأنواعها. مجلّد 1. دار الفكر د.ت.

ابن هشام : مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب. دار إحياء التّراث العربي د.ت.

ابن يعيش : شرح المفصّل. دار صادر د.ت.

2 - الأعجمية :

Walter De Mulder (2001) : La linguistique diachronique : Les études sur la grammaticalison et la sémantique du prototype (Langue Française N° 130).

J.P. Desclés (2001) : Polysémie verbale : un exemple : le verbe "avancer" (colloque polysémie: La sorbonne. Décembre 2001).

M. Galmiche (1975) : La sémantique générative; Librairie Larousse.

G. Kleiber (1990) : La sémantique du prototype P.U.F.

G. Kleiber (1999) : Problèmes de sémantique, La polysémie en questions. P.U. de Septentrion.

G. Lakoff (1987) : Women, Fire and Degerous Things. What Categories Reval about the Mind. The University of Chicago Press.

R.W. Langacker (1987) : Foundations of cognitive grammar. V1 Stanford University Press.

R.W. Langacker (1991) Les noms et les verbes : in Communications N° 53.

Christiane Marque-Puchen (2001) : Présentation du numéro 129 de la Revue Langue Française (Les figures entre langue et discours).

Jacques Poitou (2000) : Prototype, saillance et typicalité. Revue Terminologies Nouvelles. N° 21.

F. Rastier (1991) : Catégorisation, typicalité et lexicologie in D. Dubois : Sémantique et cognition. CNRS Edtions.

Anna Wierzbicka (1993) : La quête des primitifs sémantiques. (Langue Française N° 98).